

مسيحية الحيرة حتى نشأة الإسلام

الأب صلاح أبو جوده اليسوعي^٥

مقدمة

أردنا، في هذه الرسالة الوجيزة، أن نرسم لوحة عن المسيحية في مدينة الحيرة حتى نشأة الإسلام، فحاولنا أن نبيّن ظروف دخول المسيحية تلك المنطقة من الشرق، على قدر ما سمحت لنا به المراجع والمصادر التاريخية المتوفرة، والدراسات الحديثة. ولم نتوقف في سعينا عند الناحية الدينية فقط، بل تناولنا معها الأحوال السياسية والعسكرية. فتداخلت تلك العوامل مع العامل الديني طالما كان سبباً مباشراً في انتشار المسيحية ومن ثم انحصارها في شرقنا. ونظرًا إلى ضيق الوقت، لم نتعرض لتنظيم الحياة الدينية ولا لما اتصل بها من تقاليد وطقوس وقرارات مجتمعية. لربما كان ذلك موضوع بحث آخر نجريه لاحقًا.

(٥) باحث. معهد الدراسات الإسلامية والمسيحية (جامعة القديس يوسف، بيروت).

لائحة المختصرات

أ - الكتب والمقالات الأجنبية

Aigrain, *Arabie* (1922) = R. Aigrain, «Arabie», in: D.H.G.E., t. III (1922).

Assemani, *Bibl. Or. Assemani, Bibliotheca Orientalis*, 3 tomes (Rome: 1721-1728).

Chabot, *Syn. Or.* = Chabot (Ed.), *Synodicon orientale, in: Notices et extraits des manuscrits de la Bibliothèque Nationale*, t. XXXVII (Paris: 1902).

Charles, *Christianisme des arabes* (1936) = H. Charles, *Le christianisme des arabes nomades sur le limes et dans le désert syro-mésopotamien*, (Paris: 1936).

Labourt, *Christianisme* (1904) = Labourt, *Le Christianisme dans l'empire perse sous la dynastie sassanide*, (Bibliothèque de l'Enseignement de l'Histoire ecclésiastique, Paris: 1904).

Le Quien, *Oriens* = Le Quien, *Oriens Christianus*, t. II, (2 éd. Graz: 1958).

Nau, *Arabes chrétiens* (1904) = François Nau, *Les arabes chrétiens de Mésopotamie et de Syrie du VIIe au VIIIe siècle*, «Cahiers de la Société Asiatique», I, (Paris: 1933).

Rothstien, *Lahmiden* (1899) = Rothstien, *Die Dynastie der Lahmiden in al-hira* (Berlin: 1899).

Scher, *Histoire nestorienne* = A. Scher, «Histoire nestorienne inédite (chronique de Se'ert)», in: *Patr. Or.*

Shahid, *Byzantium* (1984) = Irfan Shahid, *Byzantium and the Arabs in the Fourth Century* (Dumbarton Oaks, Washington: 1984).

Trimingham, *Christianity* (1990) = J.S. Trimingham, *Christianity among Arabs in Pre-Islamic Times* (Librairie du Liban, Beyrouth: 1990).

ب - الكتب العربية

الأصفهاني، الأغاني = أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني،
(طبعة القاهرة: ١٩٢٧).

البلاذري، فتوح = البلاذري، فتوح البلدان، (طبعة دي كويه،
لايدن: ١٨٦٣-١٨٦٦).

الطبري، تاريخ = الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (طبعة دار
المعارف بمصر، القاهرة: ١٩٦٠-١٩٦١).

المسعودي، مروج = المسعودي، مروج الذهب، (طبعة دي ميناز
ودي كورتيه، باريس: ١٨٦٤).

ياقوت، معجم = ياقوت الحموي، معجم البلدان، (طبعة دار
صادر، بيروت: ١٩٥٦).

ج - المجموعات

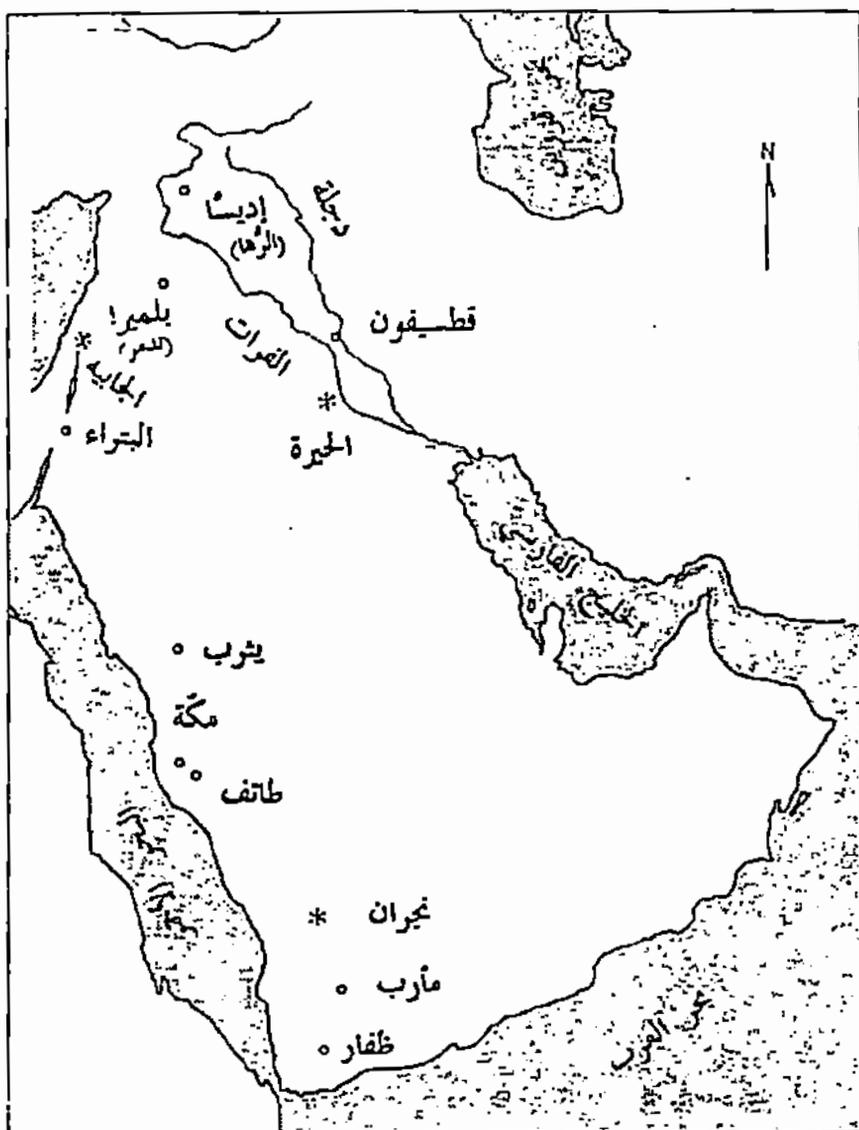
C.S.C.O. = *Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium* (Louvain: 1903 ss).

D.H.G.E. = *Dictionnaire d'histoire et de géographie ecclésiastique*.

E.I.2 = *Encyclopaedia of Islam*, 2nd edition (Leiden, Brill).

P.G. = J.P. Migne, éd., *Patrologia Graeca*.

Patr. Or. = *Patrologia Orientalis*.



تبيّن هذه الخارطة مدن القوافل الرئيسيّة في غرب شبه الجزيرة العربيّة وبلاد ما بين النهرين قبل نشأة الإسلام. ونرى فيها المراكز المسيحيّة العربيّة الثلاثة الرئيسيّة: البحيرة (اللخميّون)، والجابيه (الغساسنة)، ونجران (بنو حارث).

Source: Shahid, *Byzantium* (1984).

١ . بداية المسيحية في الحيرة

تبعاً للتقاليد، دخلت المسيحية الحيرة^(١) وبلاذ ما بين النهرين على عهد ملك الحيرة امرؤ القيس الأول اللخمي^(٢)، الذي حكم من ٢٨٨ إلى ٣٢٨. غير أن وثائق قديمة أهمها الروايات عن القديسين أدائي وماري^(٣)، تفيد أن تلك الأصقاع عرفت المسيحية في منتصف القرن الثاني، ولربما في أواخر القرن الأول. ويجب ألا نستبعد تأثر سكان الحيرة العرب بالمسيحية التي انتشرت في بابل^(٤) وحتى في بلاذ فارس، على الرغم من اضطهاد ملوك الساسانيين المسيحيين^(٥). فمنذ عهد مؤسس السلالة

(١) إن كلمة «الحيرة» قرية من الكلمة السريانية «جرثا»، وتعني مضرب الخيام. لا نجد لفظة «حيرة» في اللغة العربية التقليدية، ولكن الروايات الأسطورية حول نشأة المدينة، التي يلخصها ياقوت (معجم، ص ٣٢٨-٣٣١)، تفيد المعنى الذي ذكرناه. لن نتطرق في هذه الدراسة لا إلى أصل مدينة الحيرة، ولا إلى سلالات ملوكها، إلا بقدر ما يتصل الأمر بموضوعنا. راجع في شأن اسم «الحيرة»: Beeston, in: E.L.2, vol. III (1971), p. 478-479; Shahid, *Byzantium* (1984), p. 490-498.

(٢) مؤسس السلالة اللخمية هو عمر بن عدي (الربع الأخير من القرن الثالث)، وابن أخ الملك جديته. وعدي هو من اتخذ من الحيرة عاصمة، وانطلق منها في حملات في شبه الجزيرة العربية. خلفه ابنه امرؤ القيس الذي حمل لقب «ملك جميع العرب». كانت أم امرؤ القيس أزدية، وزوجته، والدة عمر، أميرة غسانية. راجع: المسعودي، مروج، ج ٣، ص ١٩٩. راجع في شأن السلالة اللخمية: Irfan Shahid, in: E.L.2, vol. V, p. 636-638.

(٣) راجع: Eusèbe, *Histoire ecclésiastique*, 1.13, in: P.G., cf. Murphy, in: *New Catholic Encyclopedia*, t. I, p. 123; H. Rahner, in: *Lexicon für Theologie und Kirche*, t. I, p. 136.

(٤) كان في بابل، ابتداءً من أواخر القرن الثالث، أسرى مسيحيون أعتقوا في أراضي الإمبراطورية الرومانية إبان حكم مُرمز الأول الساساني (٢٧١-٢٧٣). ونظرًا إلى مجاورة بابل والحيرة، لم تأخر المسيحية بالوصول إلى هذه. راجع: Labourt, *Christianisme* (1904), p. 19; Le Quien, *Oriens* (1958), t. II, col. 1078.

(٥) تشهد أعمال الشهداء الفرس وتاريخ كنيسة فارس والملائن (أي سلوقية وقطيفون) أن المسيحية انتشرت في تلك البلاد، على الرغم من اضطهاد الساسانيين. لنا، من غير المستبعد أن تكون الحيرة عرفت انتشارًا مسيحيًا إطلاقيًا من بلاد فارس. راجع: Sozomen, *Histoire ecclésiastique*, 2. 9-14; cf. *New Catholic Encyclopedia*, t. XI, p. 148.

الساسانية أردشير (٢٤١-٢٦٦)، كان في الحيرة مسيحيون أطلق عليهم اسم «عباد»^(٦).

لم يكن امرؤ القيس الأول مسيحيًا، والآثار المتوقفة، ولا سيما نقش قبر الملك في النمارة^(٧)، لا تأتي على ذكر الأوضاع الدينية في

(٦) يمكن تصنيف سكان الحيرة، في زمن أردشير، إلى فئات ثلاث: أولاً، التثويين، وهم عرب انضموا إلى قبائل عديدة قبل أن ينصهروا ليؤلفوا القبيلة التي حملت اسمهم، ويؤسسوا مدينة الخيرة. ثانياً، العباد، وهي لفظة تعني المسيحيين (عباد الرب أو عباد المسيح) من سكان الحيرة الذين انضموا إلى قبائل متعددة، منها تميم ولخم وأزد وغيرها. وتبعاً للطبري، أطلق عليهم اسم العباد لكي يُمَيِّزوا عن الوثنيين. ثالثاً، جماعات من قبائل عربية متنوعة فصدوا الحيرة لأكثر من سبب، ربما أهمها البحث عن مورد رزق في منطقة اشتهرت بخصب أرضها. راجع: طبري، تاريخ، ج ١، ص ٦٠٩-٦٢٨.

(٧) يمثل نقش النمارة (تقع بين البصرة ودمشق) المحفوظ في متحف اللوفر، الذي اكتشفه Macler et Dussaud، ونُقش بالحرف النبطي عام ٣٢٨، مرجعاً تاريخياً قيماً. جاء فيه: هذا هو قبر امرؤ القيس بن عمر، ملك جميع العرب، الذي عصب التاج، وأخضع قبيلتي أسد ونزار وملوكيما، الذي شئت محدج MHDJ إلى اليوم، الذي انتصر في حصار نجران مدينة شَمَار، الذي أخضع قبيلة معاد، الذي أوكل إلى أبنائه القبائل ونظم هذه خيالة للرومان. لم يبلغ ملك مجده إلى هذا اليوم. توفي عام ٢٢٣، في اليوم السابع لكسلول. لتسد السعادة ذرئته، راجع: Shahid, Byzantium (1984), p. 31-32.

قد يُطرح السؤال عن السبب الذي جعل ملكاً من حلفاء الفرس يُدفن في النمارة الواقعة في الأراضي الرومانية؟ يرى هشام بن الكلبي أن السبب هو اعتناق امرؤ القيس المسيحية (الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٥٣). ولكن هذا الاحتمال ضعيف لأن النش لا يحمل أية إشارة مسيحية، كما نفتقر إلى أي دليل تاريخي جازم حول هذا الشأن. ولعل السبب الذي حثنا بامرؤ القيس إلى تغيير سياسته تجاه الفرس هو نزاعه مع الملك شابور الذي لم يعثر مقام أمير الحيرة في غزواته التي طالت عرب الجزيرة. راجع: Shahid, Byzantium (1984), p. 34.

كما يقدم شبيد (المرجع نفسه، ص ٣٢-٤٥) تحليلاً وافياً لهذا النش. من مكان آخر، يسمح هذا النش بأن ندقق في صحة المعلومات عن سلالة اللخمين التي نقلها الطبري عن هشام بن الكلبي، الذي أحصى من موت امرؤ القيس بن عمر إلى موت النعمان الأول بن امرؤ القيس تسعين سنة. فعوت النعمان كان حوالي ٤١٨. وفي الحقبة التي فصلت بين وفاة الرجلين، ملك: عمر بن امرؤ القيس (٣٢٨-٣٥٨)، ودخيل على السلالة هو أوس بن قلام العماليقي، اغتصب العرش ودام حكمه حتى حوالي العام ٣٨٠. ثم عادت السلالة اللخمية إلى الحكم مع امرؤ=

الحيرة. ولكن من المؤكد أن الملك المذكور حافظ على الرعايا
المسيحيين في منطقة حكمه.

وفي زمن الجائليق تومرّصه (٣٦٣-٣٧١)، مُثِد دير مار عبديشوع
النسطوري، الذي يقع على بعد ثلاثة أميال من الحيرة^(٨)، ولعله أقدم دير
نسطوري في تلك النواحي. على أن هنالك مَنْ يعتقد أن المدعو يونان،

=القيس الثاني، الذي دُعي «البله» أو «الأول»، بما أنه مؤسس السلالة الثانية
(٣٨٠-٣٨٨ أو ٤٠٥)، وخلفه ابنه النعمان الأول الذي كان يُكتى به «الأعور»
و«الأكبر» (٣٨٨ أو ٤٠٥-٤١٨). راجع في شأن أسباب الاختلافات في تحديد
بعض التواريخ:

Trimingham, *Christianity* (1990), p. 158; Aigrain, *Arabie* (1922), col. 1221.

(٨) راجع: Trimingham, *Christianity* (1990), p. 189

يذكر إغران، مستنداً إلى السمعاني، أن الدير أسسه أحد تلاميذ مار عبدا في ظل
حكم النعمان. راجع: Assemani, *Bibl. Or.*, t. III b, p. 60, 598, 870-871; cf. Aigrain, *Arabie* (1922), col. 1223.

غير أن رأي ترمينغهام هو الأصوب في نظرنا بسبب عدم الوضوح في تحديد تاريخ
وصول النعمان إلى الحكم. من ناحية أخرى، من المحتمل أن يكون رؤساء هذا
الدير قد حملوا جميعاً لقب «أسقف». أما في شأن عبديشوع، فأصله من ميزين
Mésène. وثقة رواية خرافية تفيد أنه كان يلرس في دير قوني، وذهب في أحد
المرات إلى نهر دجلة ليستقي، فالتقى هنالك بعض النسوة اللواتي استحلته لكي
يملء أجراهن، ففعل. وعندما اتهم بأنه تأخر في العودة إلى الدير، روى لرئيسه ما
حدث، فأمره هذا أن يدخل أترناً ملتبساً. فرسم الطرباوي عبديشوع إشارة الصليب
على جسمه وعلى اللهب، ودخل النار على مرأى من جميع إخرته. فخدمت اللهب
للوقت، ولم تمس حتى ثيابه. ولكيما يتحاشى اعتبار إخرته له أنه استحق تلك
المعجزة، هرب ليلاً. ثم مُثِد ديزين وأهدى الكثيرين إلى الإيمان. وحينما كان
يكرم في مكان، كان يهرب منه إلى مكان آخر. ورسه الجائليق تومرّصه أسقفاً،
ولكنه هرب في الليل قاصداً جزيرة في البحرين حيث عاش متوحداً وعمد السكان
وشيد ديراً. وفي أحد الأيام طرد شيطاناً وحكم عليه أن يحمل حجراً إلى صحراء
أبناء إسماعيل. فنقذ الشيطان الأمر وعاد يقول للقديس: «حملت الحجر إلى المكان
الذي عيّته لي، ووضعت على بعد ثلاثة أميال من مدينة الحيرة التي تقع على مدخل
الصحراء». وفي الليلة اللاحقة، شاهد القديس رؤية أمرته أن ينهب إلى الحيرة ليني
ديراً في المكان الذي وُضع فيه الحجر، فذهب. راجع:

Nau, *Arabes chrétiens* (1933), p. 39-40.

لا شك أن الحجر المشار إليه يشير إلى العادة القبلية القديمة التي كانت تقتضي بوضع
حجر أو ملة يُسكب عليها زيت في الأماكن المقدسة. راجع: تكوين ١٨/١٣،
٣٣/٢١، ٢٢/١٠، إلخ.

ربما كان تلميذ مار أوجيئس، أسس ديرًا في أنبار إبان عهد البطريك بريشمين الذي توفي عام ٣٤٦^(٩). إن وجود دير يحمل اسم يونان في أنبار أمر مؤكد، ولكن تأسيسه تمّ حوالي ٥٤٠ على يد مسيحي من الحيرة اسمه عبد المسيح^(١٠).

٢. المسيحية في ظلّ حكم النعمان الأوّل (٣٨٨ أو ٤٠٥ - ٤١٨)

في ظلّ حكم النعمان الأوّل، كان في الحيرة، عام ٤١٠، أسقف اسمه هوشع، شارك في أعمال مجمع سلوقية الذي أسس علنيًا الكنيسة النسطورية ونظّمها. وقد وقّع الأسقف المذكور على وثائق المجمع. غير أنّ أبرشيته لم تُدرج في لائحة الأبرشيات التي أعاد المجمع تقسيمها^(١١).

أما النعمان الأوّل، فقد أظهر سياسة حذرة تجاه المسيحيين في البدء، ثمّ أبدى تعاطفه معهم، وأذن لهم في بناء الكنائس، بل لعلّه ساهم هو نفسه في بناء كنيسة في الحيرة عام ٤١٣. وتبعًا لإحدى الروايات الأسطورية، بدّل الملك مرقفه نتيجة ترائي القديس سمعان العموديّ له في أعقاب منعه مواظبه المسيحيين من الحجّ إلى عمود القديس، فيحول دون اتّصالهم بالرومان، أعداء حلفائه القرم^(١٢). بمهما يكن من أمر صحة هذه

(٩) راجع:

Assemani, *Bibl. Or.*, t. III, p. 866-867; Labourt, *Christianisme* (1904), p. 306.

(١٠) على خلاف ما اعتقده بعضهم، عبد المسيح هو من أنشأ الدير، لا من رُممه فقط.

راجع: Assemani, *Bibl. Or.*, t. III, p. 198; b, p. 718

من ناحية أخرى، لمزيد من المعلومات في شأن هندسة كنائس الحيرة القديمة،

راجع: D. Talbot Rice, «The Oxford Excavations at Hira», *Ars Islamica*, I (1943) 51-73.

(١١) أطلق على السينودس المذكور اسم سينودس مار إسحق، ووقّع وثاقه ثمانية وثلاثون أسقفًا. راجع: Chabot, *Syn. Or.*, p. 274-275 et 616

(١٢) تبعًا لسيرة القديس سمعان العموديّ، التي كتبها بالسريانية سمعان ابن أبرلون ويرحترار ابن أردن (نسبها السمعانيّ إلى Kozma ou Cosmas, cf. *Bibl. Or.*, t. I, p. 247-248)، أنّ القديس تراءى لنعمان في إحدى الليالي ووثّقه بشدة. ويُقال إنّ الملك روى الحادثة لضابط رومانيّ اسمه أنطيوخس، ابن ساينس حاكم دمشق، =

الرواية، فلا شك أنّ النعمان أدرك أنّ اعتناق المسيحية لا يؤثر في ولاء عرب مقاطعته له ولحلفائه الفرس^(١٣).

٣. المسيحية في ظل حكم المنذر الأول (٤١٨-٤٣٣)

آزر المنذر الأول، ابن النعمان، الجيش الفارسي في معاركه مع الرومان وحلفائهم^(١٤)، وقام بدور رائد في تأمين وصول بهرام الخامس غور، الذي نشأ في بلاط الحيرة، إلى العرش الفارسي عام ٤٢٠، كما

=الذي التقاه في الصحراء في زمن هدنة، وأنطيوخس هو من قصها على الرواة الذين أضافوا أنّ النعمان لم يعتنق المسيحية خوفاً من ملك الفرس أزدجرد الأول، وأنّ كل ذلك حدث بين العام ٤١٣ (لم يكن القديس قد اعتزل على عموده قبل هذا التاريخ) والعام ٤١٨، تاريخ وفاة النعمان. وثمة رواية أخرى تفيد أنّ النعمان هجر قصره في الليلة اللاحقة لتراخي القديس له، ولم يره منذ ذلك الحين أحد. ولربما يعود أصل هذه الرواية إلى الشاعر المسيحي الحيرتي عدي بن زيد، الذي نظم قصيدة في سجنه حوالي العام ٦٠٠، ذكر فيها تلك الرواية. ولكن تجدر الإشارة إلى أنّ قصيدته تلك فلسفية أكثر منها تاريخية. راجع: Rothstein, *Lahmidzen* (1899), p. 66-67. على أنّ ما يمكن استخلاصه من هاتين الروايتين هو أنّ النعمان عامل المسيحيين بالتسامح.

(١٣) نثّة رواية ثانية، يوردها السمعاني، عن اعتناء النعمان إلى المسيحية، تُدرج في سياق الروايات الخرافية الكثيرة والمتشابهة التي شاعت بين قبائل العرب في ذلك الزمان: «والنعمان ابن المنذر، ملك العرب، كان شديد التمسك بدين الحنفاء (يجب أن تُفهم كلمة حنيف هنا بمعناها السريانية، أي الوثني، لا بمعناها المسلم)، يعبد العوزى وهو كوكب الزهرة. فلحقته ضربة من الشيطان، ولم ينفعه كهنته بشيء. فشفاه شمعون (= سمعان) أسقف الحيرة، وصبريشوع، أسقف لاشوم، وإيشوع زخا الراهب. فتتصرّ واعتمد وولدها، المنذر والحسن، بعلمه. وكان الحسن أشدهم تمسكاً بالنصرانية، وكان لا يمانع تقدّم المناكين إليه إذا دخل البيعة (= الكنيسة)»، راجع: Assemani, *Bibl. Or.*, t. III, p. 109.

(١٤) هجر أحد القادة العرب الملقّب بـ«الحارث» الحدود الفارسية، ولجأ إلى فلسطين حيث اعتمد وأتباعه، وأصبح لاحقاً الأسقف بطرس. وقد تمّ ذلك في أعقاب اضطهاد شتّة الكهنة المزدثيون، في نهاية عهد يزيدجرد الأول (٤١٩)، على المسيحيين. وعندما رفضت السلطات الرومانية تسليم المسيحيين الفارزين إلى الفرس، نشبت المعارك. راجع في شأن تلك الوقائع:

Socrate, *Histoire ecclésiastique*, VII, 18, in: P.G. t. LXVII, col. 777; Theophanes, *Chronographia*, éd. J. Classen, Bonn, I, 132; cf. Trimmingham, *Christianity* (1990), p. 190.

دعمه في حملته بهدف اجتياح سورية والاستيلاء على أنطاكية. غير أن الجيش الروماني العربي شتت جيوشهما قرب الفرات عام ٤٢٢، فسارعا إلى عقد الصلح.

على أثر تلك الحروب، قام المنذر بدور رائد في إحلال السلام بين بهرام، ملك فارس، والكينة المزدتين الذين عارضوه. أما في شأن الكنيسة، التي تحسنت أوضاعها، فقد عُقد سينودس في مَرَكَبَتَه^(١٥) عام ٤٢٢، دعا إليه دديشوع، جاثليق سلوقية، الذي أراد تقديم استقالته، وقد شارك في السينودس أسقف من الحيرة اسمه سمعان. صدر عن ذلك السينودس القرار الشهير الذي يمنع تدخل الآباء الغربيين في شؤون كنيسة فارس، ويحرم اللجوء إلى بطريرك أنطاكية لنقض قرارات الجاثليق.

على الأرجح أنه ملك بعد المنذر ابنه، النعمان الثاني (حوالي ٤٣٣-٤٥٢)، والأسود (حوالي ٤٥٢-٤٩٢)، الذي لا نعرف عنهما الكثير، ولا عن المسيحيين في ظل حكمهما. ولكن المعلومات المتوفرة تفيد أن الأسود تزوج إحدى بنات عمر بن حنجر، رئيس اتحاد الكنتة. وفي عهده، جرت محاولة لتعيين الحدود بين مقاطعات الرومان والفرس (٤٨٥-٤٨٦)، في أعقاب غزوات متبادلة قامت بها القبائل. فألقت لجنه، شارك فيها الأسود نفسه ودوق روماني ومرزبان فارسي وبرصومه النسطوري أسقف نصيبين، عيّنت الحدود وأضربت معاهدة^(١٦).

(١٥) لم يتحدث موقع تلك المدينة بعد، وراىها «ميركة» حيث دفن الشهيد جاورجيوس عام ٦١٥، والثرية من سلوقية. وُصفت تلك المدينة بمدينة «الطيابة»، مثلما وُصفت الحيرة، أي منبئة العرب الرخل. ولا شك أن قسما من سكانها كان مسيحيًا، ولنا اختارها الجاثليق مكانًا لعقد السينودس. أما تاريخ انعقاده، الذي ظن بعضهم أنه ٤٣٠، فيحتاج إلى تحديد. شارك في السينودس، الذي حمل اسم دديشوع، ستة وثلاثون أسقفًا، قدموا في بداية اجتماعهم توسلاً إلى الجاثليق لكي يعرّد عن استقالته، راجع:

Guidi, *Zeitschr. Der deutschen morgenland. Gesellschaft*, t. XLIII, p. 410, et d'après lui par Rothstein, *Lahmidien* (1899), p. 23-24; cf. Chabot, *Syn. Or.*, p. 285 et 611.

Trimingham, *Christianity* (1990), p. 191 (١٦)

وفي الواقع، لقد خلقت الحروب المستمرة بين الفرس والبيزنطيين جزءًا مؤاتيًا لتأجج الخلافات والغزوات المتبادلة بين القبائل العربية المناصرة للطرفين. وثمة رسالة بعث بها أسقف نصيبين برصومه، عام ٤٨٤، إلى الجاثليق النسطوري أكاسيس تعطي صورة جلية عن حقيقة الأوضاع^(١٧).

وفي وقت لاحق أسر الفرس الأسود، ربما بسبب تمرده عليهم، فتسلم الحكم بعده أخوه المنذر الثاني (٤٩٢-٥٠٠) (١٨).

أ - الأسقف سمعان

كان لمسيحيي الحيرة، في ظل حكم المنذر الثاني، أسقف اسمه سمعان، غير الأسقف سمعان الذي ذُكر في العام ٤٢٤، لأن هذا ما كان

(١٧) «إننا نعيش في بلاد (نصيبين)، كثر الذين يحدونها من دون أن يعرفوها، والذين لا يريدون لها الاستقرار، كما أن العواتق في وجه ازدهارها متعددة، ولا سيما في الوقت الراهن. فنذ ستين ونحن نعيش حالة تحط ونقص في الأشياء الأساسية. وجماعات قبائل الجنوب تجتمعت فيها، وبسبب كثرة أولئك القوم ووقرت مواشيتهم، فقد خربوا قرى السهل والجبل ونهبوها، وتجرأوا على نهب الناس والحيوانات، حتى في الأراضي اليونانية. وقد جمع اليونانيون جيشًا كبيرًا على الحدود، يرافقه عربهم، وطالبوا بنعوض عما ألحقه العرب التابعين للفرس في أراضيهم. فاحتوهم الحاكم النارسي في نصيبين بحكمته، واقترح أن يجمع زعماء العرب الفرس ويستعيد منهم الغنائم والأسرى، ما أن يعيد العرب اليونانيون المواشي والأسرى التي أخذوها في غزواتهم المتعددة في بلاد بيت غرمي وأديابين Beit Garmi et Adiabène ونيوى، ومن ثم يعيرون الحدود بواسطة معاهدة حتى لا تكرر هذه المساويء وسواها. وفي أثناء المحادثات، ذهب القائد اليوناني وضباطه الكبار حتى إلى نصيبين ليزوروا الحاكم الفارسي. فاستقبلهم استقبالًا كريمًا. ولكن إذ كانوا يأكلون معًا ويشربون ويتسلون، بلغهم أن أربعمائة خيلاً عربيًا فارسيًا هاجموا قرى بعيدة في الأراضي اليونانية ونهبوها. فاتهم اليونانيون الحاكم الفارسي بأنه أرتعهم في فتح، ومنذ ذلك الحين بقيت الأوضاع على حالها...».

راجع: Chabot, *Syn. Or.*, p. 532-534.

(١٨) يذكر هشام أن المنذر الثاني اعتلى العرش في ٤٨٢، ولكن يجب تصحيح هذا التاريخ بسبب وجود فارق عشر سنوات. ذلك بأن الأحداث التاريخية التي يسردها هشام تُظهر نقصًا لمتة عشر سنوات حتى ملك النعمان الثالث. راجع: Aigrain, *Arabie* (1922), col. 1223.

ليعمّر كلّ تلك السنين. شارك سمعان «الثاني» في مجمع سلوقية الذي ترأّسه الجاثليق أكاسيوس، ووقع على وثائقه التي كوّنت النسطورية عقيدة للكنيسة الفارسية، وأرغمت على زواج الكهنة والشمامسة، باستثناء الرهبان والراهبات^(١٩).

وفي الواقع، اعتنق مسيحيو الحيرة، بوجه الإجمال، النسطورية، كما تدلّ عليه أعمال المجمع اللاحقة، ويذكره المسعودي^(٢٠).

ب - الأسقف إلياس

عُقد في تشرين الثاني ٤٩٧، سينودس آخر في سلوقية ترأّسه الجاثليق يبي، وشارك فيه إلياس أسقف الحيرة. جدّد المجتمعون تمسّكهم بالقرارات التي سبق أن اتّخذت عام ٤٨٦، مشدّدين على امتيازات جاثليق سلوقية. وهذا يبيّن ثبات أساقفة الحيرة على الإيمان النسطوري^(٢١).

٤ . النعمان الثالث (٥٠٠-٥٠٣)

خلف النعمان الثالث بن الأسود، عمّه المنذر، وحفلة ولاية حكمه، التي دامت أربع سنوات، بالحروب مع الرومان، وهي حروب اتّخذت في البدء شكل غزوات^(٢٢)، ثمّ تحوّلت مع قواد، ملك الفرس

(١٩) لا نعلم هل شارك سمعان «الثاني» في المجمعين اللذين انعقدا قبل مجمع عام ٤٨٦. فقد عُقد مجمع في بيت لبّ Beit Lapat في نيسان ٤٨٤. ولكن بين الأساقفة الذين أبلغهم برضومه أنّه رفض المجمع، وبين أولئك المؤيدين له، نقرأ اسم سمعان. إضافة إلى ذلك، لا نعلم هل كان أحدهما أسقف الحيرة أم لا. أمّا مجمع بيت إتراي Beit Edrai، فلا نملك أسماء جميع المشاركين في أعماله. راجع: Chabot, *Syn. Or.*, p. 299, 301, 306, 531.

(٢٠) راجع: المسعودي، مروج، ج ٢، ص ٣١٤ و٣٢٨.

(٢١) بلغ عدد الأساقفة المشاركين، يَمَن فيهم الجاثليق، ستّة وثلاثين أسقفًا، راجع: Chabot, *Syn. Or.*, 310-311, 313.

(٢٢) بدأت الحرب كغزوات تمكّن أوجيئس حاكم إقليم الفرات من دفعها، وأنزل هزيمة بالمرب أنباع الفرس على ضفاف الفرات. راجع: Rothstein, *Lahrniden* (1899), p. 70.

(٤٨٨-٥٣٠)، إلى حرب حَقِيقَةٍ^(٢٣). وقد حارب النعمان، الذي كان في عداد رجاله مسيحيين، إلى جانب سيده الفارسي، وأخذ على عاتقه مهمة مهاجمة حرّان والرّها، فدمرها وسبى عددًا كبيرًا من سكّانها. وفي أثناء غيابه وجيشه عن مقاطعته، أقدم عرب قريين من غسان ومن ثعلبهم، على مهاجمة قافلة كانت تتجه إلى الحيرة، فسطوا عليها، الأمر الذي أثار جنون النعمان. وثمة رواية أخرى تفيد أنّ الثعلبة هاجموا الحيرة، فدخلوها ونهبوها، فاضطرّ عرب النعمان إلى العودة، وكان ذلك على الأرجح في تشرين الأوّل ٥٠٢^(٢٤).

أمّا النعمان، الذي توفي متأثرًا بجرح أصيب به في معركة خابور بالقرب من قرقيسية، فالروايات تعدّت واختلقت في شأن موقفه من المسيحيين. فثمة رواية تُظهره بعيدًا كلّ البعد عن تسامحه معهم. فإبان محاصرته الرّها، أفصح له ضابط مسيحي في جيشه عن استحالة دخول المدينة بسبب وعد قطعه السيّد المسيح نفسه. فأخذ النعمان للوقت يوجه التهديدات إلى سكّان المدينة، ويلعن ويجذّف على المسيح، حتّى آل به غضبه إلى تفتّح جرحه ثانية، فمات ينزف دمًا عام ٥٠٣^(٢٥).

وهناك رواية ثانية تبين أنّ النعمان كان يشارك في صلوات أيام الآحاد في ديرٍ إلى جنوب الحيرة يحمل اسم ابنته «اللجّة»، وإن لم يكن قد تعمّد هو نفسه^(٢٦).

(٢٣) لقد افعل قواد، ملك الفرس، تلك الحرب ليبلغ هدفين: الأوّل، أن يتنم من الإمبراطور أنسطاس الذي رفض أن يمتهن بالعمون المالي، والثاني، أن يثبت هيب تجاه أشرف قومه بعد أن خلعه أخوه زَمَب عن العرش لمدة ستين.

(٢٤) راجع:

Josué le Stylite, *Chronique*, L-LII, LVII, édit. Wright (1882), p. 38-40 et 45.

(٢٥) راجع:

Josué le Stylite, *Chronique*, LVII-LVIII, édit. Wright (1882), p. 46-47.

(٢٦) أبو عيد البكري، معجم ما استعجم، طبعه صقاع، ٤ أجزاء، القاهرة: ١٩٤٥-

١٩٥١، ج ٢، ص ٥٩٥-٥٩٧، رباقوت، معجم، ج ٢، ص ٥٣٠-٥٣١.

أمّا في شأن الدير، فقد أنشأه كاهن من الحيرة اسمه بر سُهَدي، يُقال إنّه من عمّد مار

آبا. راجع: Scher, *Histoire nestorienne*, t. VII, p. 155 et 170.

عَيْن قَوَادِ أَبَا يَعْقُرَ بْنِ عَلَقَمَةَ بْنِ عَدِي خَلِيفَةَ لِلنُّعْمَانِ، وَهُوَ مِنْ
اللُّخَمِيِّينَ الْمَسِيحِيِّينَ، وَلَكِنْ لَمْ يَتِمَّ إِلَى الْعَائِلَةِ الْحَاكِمَةِ. وَتَبَعًا لِيَاقُوتَ،
هُوَ أَبُو يَعْفُرَ مَنْ أَنْشَأَ الْبَيْتَ الَّذِي يَحْمَلُ اسْمَهُ^(٢٧). دَامَ حُكْمُهُ سِتِّينَ، ثُمَّ
انْتَقَلَ الْعَرْشَ ثَانِيَةً إِلَى السَّلَالَةِ مَعَ الْمُنْذَرِ الثَّلَاثِ.

٥. الْمُنْذَرُ الثَّلَاثُ (٥٠٥-٥٥٤)

تَمَيَّزَ زَمَنُ حُكْمِ الْمُنْذَرِ الطَّرِيقِ بِكَثْرَةِ الْحُرُوبِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ بَدَأَ
بِاضْرَامِ مَعَاهِدَةِ سَلَامٍ بَيْنَ الْبِيزَنْطِيِّينَ وَالْفَرَسِ. كَانَتْ وَالِدَةُ الْمُنْذَرِ الثَّلَاثِ
مَسِيحِيَّةً، عُرِفَتْ بِاسْمِ مَاءِ السَّمَاءِ، كَمَا تَزَوَّجَ هُوَ نَفْسَهُ مَسِيحِيَّةً هِيَ هِنْدُ ابْنَةُ
الْحَارِثِ الْكَنْدِيِّ، شَيْدَتْ دَيْرًا فِي الْحَيْرَةِ فِي ظِلِّ حُكْمِ ابْنِهَا عَمْرٍ.

تَبَعًا لِبَعْضِ الْمُؤَرِّخِينَ، اعْتَقَ الْمُنْذَرُ الْمَسِيحِيَّةَ الْأَرْثُودُكْسِيَّةَ فِي الْعَامِ
٥١٣. وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ سَاوِيرُسُ الْأَنْطَاكِيِّ أَسْقَفِيْنِ مُونُوفِزِيْنِ عَلَيَّهِمَا
يَسْتَمِيلَانِهِ إِلَى إِيْمَانِهِمَا، غَيْرَ أَنَّهُمَا فَشَلَا فِي مَهْمَتِهِمَا.

يُرْوَى أَنَّ الْمَلِكَ أَصْغَى إِلَيْهِمَا، ثُمَّ تَظَاهَرَ بِالْكَأْبَةِ لِأَنَّهُ سَمِعَ مَنْ يَقُولُ
إِنَّ مِيخَائِيلَ رَيْسَ الْمَلَائِكَةِ مَاتَ. فَسَارَعَ الْأَسْقَفَانِ يَطْمَئِنَانِهِ إِلَى أَنَّ رَيْسَ
الْمَلَائِكَةِ لَا يَخْضَعُ لِسُلْطَانِ الْمَوْتِ. فَعَقَّبَ الْمَلِكُ حِينَئِذٍ عَلَيَّهِمَا بِقَوْلِهِ إِنَّهُ
كَمْ بِالْأُخْرَى لَا يُمْكِنُ التَّسْلِيمُ بِأَنَّ الْوَهْيَةَ الْمَسِيحِيَّةَ، الْمُتَّحِدَةَ بِإِنْسَانِيَّتِهِ بِطَبِيعَةٍ
وَاحِدَةٍ، قَدْ مَاتَتْ عَلَى الصَّلِيبِ^(٢٨).

= وَقَدْ دَفِنَ مَارْيَا تَلْمِيذَ اسْمِهِ قِيُورِي الزَّهْرِيِّ أَنْشَأَ مَدْرَسَةً فِي دَيْرِ أَقَامِهِ حَوْلَ قَبْرِهِ،
اسْمُهُ دَيْرُ الْأَسْكُونِ. رَاجِعْ: يَاقُوتَ، مَعْجَمٌ، ج ٢، ص ٤٩٤ و ٤٩٨: أَيْضًا:
Scher, *Histoire nestonienne*, t. VII, p. 170-171, XIII, p. 546-550.

(٢٧) يَابُوتَ، مَعْجَمٌ، ج ٢، ص ٥٢٤.

(٢٨) لَمْ يَكُنْ جَوَابَ الْمَلِكِ جَدِيدًا، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُنْسَبَ إِتْكَارُهُ إِلَيْهِ. فَقَدْ يَبَيَّنُ الْبَاحِثُ
غُوَيْدِي أَنَّهُ بَعْدَ الْعَامِ ٥١٣ بَقِيْلٌ، كَتَبَ فِلُوكْسِينُ النَّجْبِيَّ رِسَالَةً إِلَى رَهْبَانِ تَيْلِينَا
Téléda ضَمَّتْهَا جَوَابَ الْمَلِكِ، وَقَدَّمَهَا كَعَقِيدَةٍ مَأَلُوقَةٍ، وَلَمْ يَأْتِ عَلَى ذِكْرِ الْمَلِكِ،
وَلَا الظُّرُوفِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا ذَلِكَ الرَّذ. رَاجِعْ:

Zeitschrift der deutschen morgenland. Gesellschaft, t. XXXV, p. 142-146, et
Théodore le Lecteur, *Histoire ecclésiastique*, II, 35, in: P.G., t. LXXXVI, col.
204; cf. Aigrain, *Arabie* (1922), col. 1226.

من المستبعد أن يكون المنذر مسيحيًا أرثوذكسيًا، لا نسطوريًا،
فذلك يخالف معتقد رجال الدين المسيحيين الرسميين في الحيرة. إضافة
إلى ذلك، نستطيع أن نشكّ حتى في انتماء المنذر إلى المسيحية بسبب
أعماله التي سيأتي الكلام عليها لاحقًا. فالمثبت تاريخيًا هو أنّ المنذر
أظهر سياسة تسامح تجاه المسيحيين في بداية عهده، وأذن بتشيد
الكنائس، كما ذكر أبو الفدي (٢٩)، وشجع النسطورية.

أ - محاولات إدخال المونوفيزية الحيرة

أما في شأن محاولات إدخال المونوفيزية الحيرة، فهي، في الواقع،
لم تتوقف. فالمدعز سمعان، قبل أن يصبح أسقف بيت عرشم، بشر
بالمونوفيزية في الحيرة، وسجّل نجاحًا محدودًا، كما شيّد بعض
الكنائس. ثمّ توجه إلى بلاد فارس حيث لاقى نجاحًا أكبر ممّا لقيه في
الحيرة، إلا أنّ نشاطه تضاعف بعد أن بلغ ملك الفرس أنّ المونوفيزية
محاولة بيزنطية تهدف إلى النيل من النسطورية الفارسية، لا سيّما وأنّ
بيزنطية طالما اعتبرت النسطورية هرطقة.

وإضافة إلى نشاط المجادل سمعان، قام بعض رهبان أميدا Amida
المونوفيزيين، الذي شتهم اضطهاد بيزنطية، بالبشير بمعتقدهم في شبه
الجزيرة، وبلغ بعضهم أقصى الجنوب (٥٢٠-٥٢١). وفي الحقيقة، تدقّق
عدد كبير من الرهبان المونوفيزيين على منطقة الحيرة عقب اضطهاد
يُسطيّس الأول، فخيّرهم الجائليق شيلا (٥٠٣-٥٢٧) بين تبني النسطورية
أو الرحيل. وبالرغم من دعم الحجّاج بن قيس، أحد أصدقاء المنذر،
لهم، فقد أكرهوا على اعتماد الحلّ الثاني، فارتحلوا إلى نجران (٣٠).

(٢٩) يذكر أبو الفدي أنّ المنذر تنصّر وبنى العديد من الكنائس الرائعة. ولربما استقى
معلوماته، التي أوردها في مؤلفه الجغرافية (طبعة رينو، باريس: ١٨٨٩، ص
٢٩٦)، من الإدريسي. والغريب أنّ أبا الفدي لا يأتي على ذكر شيء من هذا
القبيل في مؤلفه تاريخ ما قبل الإسلام.

(٣٠) تفيد بعض الروايات أنّ الجائليق شيلا خيّر الرهبان أيضًا أن يناظروه، ولكنّ
المونوفيزيين رفضوا اقتراحه. إلا أنّ شيلا، وغبة منه في أن يساير المنذر، =

وعندما شارف عهد المنذر على نهايته، بُدلت جهود مفضية لترويج المونوفيزية في الحيرة، مما جعل الجائليق مار آبا يمضي السنة الأخيرة من أسقفية (توفي ٥٥٢) وهو يسعى لإعادة بعض مسيحيي منطقته إلى النسطورية^(٣١).

ومن جهة أخرى، قدم إلى الحيرة، في أواخر عهد المنذر، أسقف اسمه سرجيوس على بدعة الرذويتين المونوفيزية^(٣٢)، رسمه الأسقف أتروئس، الذي لم يُرسم تبعاً للأصول، بل من طريق وضع يد جثة الأسقف بروكوس. ولكن يصعب علينا تحديد تاريخ قدوم الأسقف بدقته،

عرض على الملك أن يرأس المجادلة أسوة بالملوك الفرس. فطرح شيلا على الرهبان أسئلة بحضرة المنذر، قال: «ما قولكم؟ هل اتخذ الله الكلمة جسداً من مريم أم أنّ شخصه الإلهي تحوّل إلى جسد؟ وإذا سلّمتم بالاتحاد الحاصل في المعنى الثاني، من يكون الذي بدأ يوجد في الأحشاء، الذي حُبل به، والذي وُلد، والذي عطش، والذي بكى، والذي مات وقبر؟» فلم يكن لديهم ما يجيبون به. على أنّ المونوفيزيين يروون مجادلة انتصروا هم بها. والملفت في كلّ هذا هو أن نرى الملوك اللخمين الرثين يُختارون شكّاماً في مجادلات لاهوتية. راجع: Nau, *Arabes chrétiens* (1933), p. 40-41.

(٣١) تبعاً لتاريخ قمر وماري، توفي هذا الأسقف في الحيرة في ٢٩ شباط ٥٥٢ ودفن فيها، ولكن هذه المعلومة ترتفع إلى زمن متأخر. راجع: Les chroniqueurs Amr et Mare, *Liber Turris*, édit. Gismondi, t. I, p. 24; t. II, p. 45.

إلا أنّه على الأرجح أنّ الجائليق قد دُفن في الحيرة، لأنّ هنالك رواية ثانية تتكلم على ذلك. فيحب تلك الرواية، هدى مار آبا، الذي كان في بلاط خسرو، الكثير من البراطقة (= المونوفيزيين) إلى الإيمان القويم، الذين قدموا ليروه ويراقبوا ملك العرب الذي أتى يقوم بواجباته تجاه ملك الملوك. وقد أدّت هذه الاهتمامات إلى قيام علاقات قوية بين مار آبا والحيرة. لذا، بعد موت الجائليق بقليل، نقل تلميذه قيورا جثمانه إلى الحيرة ودفنه فيها. ثمّ، تمّ تشييد دير على قبره. راجع: Nau, *Arabes chrétiens* (1933), p. 41.

فضلاً عن ذلك، هو قيورا المذكور من أنشأ مدرسة في الحيرة، من تلاميذها الشيخ عبدا، وبي كاتب الحاكم الفارسي على الحيرة، الذي اعتنق الحياة التسكية. راجع: Scher, *Histoire nestorienne*, t. XIII, p. 546-550.

(٣٢) تتبرّع تلك البدعة من بدعة يوليائس الهليكرنسي، وتُختصر عقيدتها بأنّ جسد يسوع كان غير قابل للفساد. ولقد تبيّت تلك التعاليم بانشقاق داخل الكنيسة المصرية عقب وفاة البطريرك تيموثاوس الرابع عام ٥٣٦. راجع: Trimmigham, *Christianity* (1990), p. 194.

لأننا نجهل تاريخ وفاة بروكوبس التي كانت بضع سنوات بعد ٥٤٩. قصد سرجيوس بلاد الحميريين أيضًا، وأمضى فيها ثلاث سنوات روج في أثنائها تعاليمه التي لاقت قبولًا، ولا سيما في منطقة نجران. وفي الحقيقة، دامت اليوليانية طويلًا في تلك الأصقاع، فثيموثاوس الأول يشير في إحدى رسائله عام ٧٨٠ عن عودة ثلاثين كنيسة يوليانية إلى النسطورية^(٣٣).

ب - الكنيسة النسطورية

على أثر وفاة الجائليق شيلا (٥٢٧)، حصلت أزمة حول من يخلفه على كرسي سلوقية. وكان الجائليق المذكور قد عين قبيل وفاته صهره ألبشع خليفة له، إلا أن فريقًا من الأساقفة، من بينهم نرسيس، أسقف الحيرة، رفضوا التعيين، وسموا «نرسيس» جائليقًا، ومن الممكن أن يكون هذا أسقف الحيرة نفسه. غير أن اللوائح لا تأتي على ذكره، ولا على ذكر منافسه. توفي نرسيس عام ٥٣٥.

وفي المقابل، استمرت حمية النساطرة الرسولية، وبدأت الحيرة مركزًا ينطلق منه المرسلون ليشرروا التباثل الرحل ويؤسسوا الأديار. ففي حوالي العام ٥٤٠، ازدهرت الحياة النسطورية الديرية في منطقة أنبار، التي سبق أن زارها مار أبًا، بفضل دير مار يونا الذي رأسه الراهب عبد المسيح الحبري^(٣٤). كما كان لدير جبل سنجار، إلى شمال الحيرة، تأثير كبير في نشر النسطورية، وقد ازدهر على نحو خاص في بداية القرن السابع^(٣٥).

Letters 27 and 41 of Timothy I: *Epistolae*, ed. O. Braun, in: C.S.C.O. N° 74L Syr. (٣٣)
30 (1914) 102.

(٣٤) راجع:

Assemani, *Bibl. Or.*, t. III, p. 198.

(٣٥) يشهد على ازدهار هذا الدير ميثاق رهبان برقيطي، ورسالة الجائليق صبريشوع إلى

رئيسي ديرين هما بركيشوع وآبا. راجع:

Chobot, *Syn. Or.*, p. 461 et 465.

ج - موقف المنذر الثالث من المسيحيين

لقد عامل المنذر المسيحيين، إبان غزواته المناطق الواقعة تحت سيطرة الرومان (٥١٨ و ٥٢٨ و ٥٢٩)، بوحشية قتل نظيرها. فقد دمر الكنائس والأديار ولم يرحم لا الرهبان ولا الراهبات. وثمة من يخبر عن أنه قدم لآليته العوزة ذبائح بشرية. فقد قرب لها أميراً أرمنيًا، وابن الحارث بن جيله الغساني عدوه، الذي أسره وهو يرعى غنمه حوالى ٥٤٥، كما قرب أربعمائة راهبة أسرهن في كنيسة الرسول توما في إيميزا (حمص)، بناءً على شهادة الناسك دادا الذي أسر هو أيضًا^(٣٦). ولكن الذين تقلوا أخبار هذه الفظائع كانوا من خصومه، لذا يجب التعامل مع معلوماتهم بحذر^(٣٧). ولكن من المؤكد أنّ جيشه لم يوقر المسيحيين في غزواته، كما أنه كان متعبداً للعوزة لشأن أسلافه.

وثمة حادثة أخرى تُظهر قلة تعاطفه مع المسيحيين، حصلت حوالى العام ٥٢٤، عندما أرسل الإمبراطور يُستينيانُس إليه بعثة ضمّت إبراهيم، والد المؤرخ نونوس، وسرجيوس، أسقف الرُصافة، والكاهن أبرامُس، ورجال دين آخرين وعلمائين، كما كان بينهم سمعان المونوفيزي، أسقف بيت عرشام. كان هدف البعثة التفاوض مع المنذر بغية إطلاق سراح قائدين رومانيين أسرهما في إحدى حملاته. ولما لم يجده أعضاء البعثة في الحيرة، جدوا في إثره حتى أدركوه في هُفُفُف (الحسا)، بالقرب من الخليج الفارسي. وإبان اجتماعهم به جاء من سلّم المنذر رسالة من ذي نواس يخبره فيها عن إقدامه على إعدام مسيحيي نجران، ويطلب إليه أن يحذر حدوه^(٣٨). ولم يتردد المنذر بأن أعلن تعاطفه مع ذي نواس، وأعلن

(٣٦) Michel le Syrien, IX, 16, trad. Chabot, t. II, p. 178-179.

(٣٧) راجع:

Trimingham, *Christianity* (1990), p. 193.

(٣٨) ارتقى ذو نواس العرش الحميري عام ٥٢٢ وكان مهزودًا. هاجم المناطق التي كان يحتلها الحبش، أي المنطقة الساحلية لمرقا المُخَا ومنطقة ظُفَّار، فاحتلها ودمر كنائسها وقتل ١٤ ألفًا من سكّانها. ثم استغل حوادث عنف تعرّض لها يهود نجران ليهاجم المدينة التي وعد سكّانها بالأمان والسلام إن استسلموا، فلما =

لجنوده أنه يؤيد العمل الإجرامي، ولكنه لم يقم بخطوات مماثلة في مناطق^(٣٩).

وفي المقابل، وفي ذلك مفارقة لافتة، يبدو أن المنذر كان متسامحًا مع مسيحيي مناطق، وربما مع جميع الأديان. فهل عداؤه طال المونوفيزيين في مناطق أعدائه فقط؟ مهما يكن من أمر، فقد شُيدت كنائس وأديرة عديدة في ظل حكمه، وقد دوّن المؤرخون وعلماء الجغرافية العرب أسماء بعضها^(٤٠).

لقي المنذر حتفه في معركة الحجار، داخل سوريا الأولى، مع الحارث بن جبلة الغساني في ٥٥٤.

٦. عمر بن المنذر (٥٥٤ - حوالي ٥٧٠)

أراد عمر أن يتابع سياسة أبيه التي انتهجها مع البيزنطيين، وكانت تقوم على إعانات مالية يقدّمها الملك البيزنطي له شرط أن يبقى على

=فعلوا دخلها وارتكب فيها مجازر رهية. راجع:

Jacques Ryckmans, «Le christianisme en Arabie du Sud Préislamique», in: *L'Oriente chrétienne nella storia Acad. Lincei, quaderno n° 62* (Rome: 1964), p. 413-453.

(٣٩) يذكر الحادثة الأسقف سمعان، راجع:

«La lettera di Simeone vescovo di Beth Arsam sopra I martiri Oneriti», ed. L. Guidi, in: *Mémoire della Accademia dei Lincei, ser. III, 1881, VII*, p. 417-515.

غير أن المقاطع، في رسالة سمعان، التي تأتي على وصف وحشية المنذر، غير مثبتة. راجع في شأن الرسالة:

Guidi (éd). *Atti della reale Accademia dei Lincei*, 1887, t. VII, p. 471 sq.

(٤٠) يذكر ياقوت الأديرة التالية في الحيرة ومنطقتها: دير ابن بَرَّاق (بظاهر الحيرة)، ودير ابن وضّاح (بنواحي الحيرة)، دير الأسكون (بالحيرة)، ودير بني مرينا (بظاهر الحيرة)، ودير الحرير (بالحيرة)، ودير حنظلة (بالحيرة)، ودير حنّ (بالحيرة)، ودير الشرا (بظاهر الحيرة)، ودير علقمة (بالحيرة)، ودير اللج (بالحيرة)، ودير مار فايتون (بالحيرة أسفل النجف)، ودير ما عبدا (بنواحي الحيرة)، ودير هند الصغرى (بالحيرة)، ودير هند الكبرى (بالحيرة). كما يذكر «ديارات الأسقف» في أوّل الحيرة، وهي، في الغالب، أماكن سكن الأساقفة. راجع: ياقوت، معجم، ج ٢، ص ٤٩٦-٥٤٢. راجع أيضًا: أحمد الشاشي، كتاب الديارات (طبعة عواد، بغداد: ١٩٥١).

الحياد في حال اندلاع حرب مع الفرس. وبالرغم من أن جواب البيزنطيين كان أن تلك المساعدات هي هبة لا أساس قانوني لها، فقد سدّدها يُسْطِيئُس عام ٥٦٢. ولكن يُسْطِيئُس الثاني ألغاهَا عام ٥٦٦. فكان ردّ عمر أنه هاجم أراضي المنذر الغساني^(٤١).

أما في شأن انتماء عمر إلى المسيحية، فهو أمر غير مؤكّد. كانت والدته هند مسيحية، وساهمت في بناء كنيسة دير في منطقة الحيرة حمل اسمها، وفي النقش التذكاري نجدها تسمي ابنها «عبد المسيح»^(٤٢). ولكن عمر حمل أيضًا لقب «المحرّق» أسوةً بلخمين عديدين، وقد يكون هذا اسم آلهة وثنية قديمة^(٤٣)، أو يعود إلى تقليد يفيد أن عمر حرق مائة رجل أحياء من قبيلة واحدة قتل أحد أعضائها أخاه^(٤٤).

مات عمر مقتولاً على يد زعيم قبيلة تغلب، الشاعر عمر بن كلثوم، بعد أن حاول عمر أن يذلّ والدته^(٤٥).

(٤١) Ménandre le Protecteur, édit. De Bonn, p. 292-292 (Justin), et 358-359, 369-370 (Justinien).

(٤٢) نَد لا يعبّر النش إلا عن رغبة الملكة لا أكثر. وبالعنابة نشير إلى أن أسقف الحيرة حيثذاك يُذكر في النقش، وهو أفرائيم، وهذه معلومة ثنية، لا سيّما وأنه لم يشارك أيّ أسقف من الحيرة في أعمال المجامع بين ٤٩٩ و٥٨٥، لأسباب نجعلها. راجع:

Aigrain, *Arabie* (1922), col. 1228.

أما مضمون النش، فقد أوردّه ابن الكلبي، ونقله عنه الطبري وياقوت: «بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة، بنت الملوك وأم الملك عمر ابن المنذر، أمّة المسيح، وأمّ عبده، وبنت عبده، في ملك ملك الملوك خسرو أنشروان، في زمن مار إنرائيم الأسقف، فالإله الذي بنت له هذا الدير يُغفر خطيئتها وترحم عليها وعلى ولدها، ويقبل بها ويقومها إلى إقامة الحق، ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر». راجع: ياقوت، معجم، ج ٢، ص ٥٤٢.

Rothstein, *Lahmidan* (1899), p. 46-48 (٤٣)

Aigrain, *Arabie* (1922), col. 1228 (٤٤)

(٤٥) راجع: الأصفهاني، الأغاني، ج ١٠، ص ١٨٢.

٧. قابوس شقيق عمر (٥٧٠-٥٧٨)

خلف قابوس، الذي نجعل دينه، شقيقه عمر على العرش، وبدأ عهده بهزيمة أنزلها به المنذر الغساني بموقعة عين أبغ في ٢٠ أيار ٥٧٠. إلا أن الخلاف الذي نشب بين المنذر وبيزنطية في وقت لاحق، وميها محاولة يُسطينس قتل المنذر، أفسح في المجال لقابوس بالانتقام، فوصلت إحدى غزواته حتى أنطاكية. ولم يتأخر الغساني، الذي عقد صلحًا وقتيًا مع البيزنطيين، من القيام بهجوم معاكس بعد أن كان قد التزم الحياد، فبلغ الحيرة عام ٥٧٨ وأضرم فيها النار، ولم يوقر في هجمومه إلا الكنائس والأديار^(٤٦). وقد مات قابوس في ذلك التاريخ.

في أعقاب تلك الأحداث، أدار شؤون الحيرة موظف فارسي اسمه سهراب، قبل أن يُعيّن المنذر الرابع، شقيق قابوس، ملكًا. لم يدم حكم المنذر، الذي حافظ على عبادة اللآت والعوزة^(٤٧)، إلا حوالي الستين أو الثلاثة (٥٨٠-٥٨٢/٥٨٣).

٨. النعمان الثالث بن المنذر

نشأ النعمان الثالث، الذي خلف أباه على العرش، في عائلة زيد بن حمّاد المسيحية التيمية، التي ربطته بها علاقات متينة بفضل المساعدة التي قدّمها إليه عدي بن زيد ليصل إلى الحكم. ذلك بأن إخوته، ولا سيما الأسود منهم، قاموا يطالبون بالعرش بعد موت أبيهم، فترتب على النعمان تأمين المال اللازم ليستميل به إليه أصحاب القراو في بلاد فارس.

(٤٦) يدر أن أسباب تقلب سياسة المنذر تجاه حلفائه البيزنطيين يعود إلى كونه يعقوبياً وحامياً للعبادة (بالرغم من أن إخوته يظهرون شديد الولاء للأرثوذكسية الخلقيدونية، راجع: 1 p. 66, note 1 (Charles, *Christianisme des arabes* (1936)). ولقد حاول البيزنطيون القضاء عليه بالحيلة فلم يفلحوا. ولكنهم أسروه، في ظل حكم موريتيوس، ونقلوه إلى القسطنطينية، ثمذ نفوه إلى صقلية. راجع: Nau, *Arabes chrétiens* (1933), p. 63-64.

(٤٧) راجع: الأصفهانى، الأغانى، ج ٢، ص ١٠، حيث نجده يُقسم بالآلهة اللآت والعوزة.

فاتترض عدي المال من الأسقف جابر بن سمعان من عائلة أوس بن قلام. ويقال إنَّ الأسقف أعطى سائله ثمانين ألف درهم بدلًا عن أربعين ألفًا طلبها، كما أذن بأن تُقام حفلة تنصيب الملك في إحدى الكنائس^(٤٨).

أ - مسألة تنصّر النعمان

من المؤكّد أنّ النعمان اعتنق المسيحية، غير أنّ الروايات التي تتناول الحدث متضاربة. تبعًا لإيفاغروس^(٤٩)، تحوّل النعمان إلى النسطورية بعد أن استعاد الساسانيّ خسرو الثاني أبرويز (٥٩٠-٦٢٦) عرشه من الثائر بهرام بمساعدة الإمبراطور موريقيوس. وبالتالي، يكون تنصّره قد تمّ حوالي ٥٩٢^(٥٠). كما أنّه أمر بصهر تمثال الآلهة العوزة وتحويله إلى سبائك، بعد أن كان في عداد الملوك الذين قرّبوا إلى تلك الآلهة ذبائح بشرية^(٥١).

ولكنّ رواية ثانية وردت في كتاب الأغاني تجعلنا نعتقد أنّه اعتنق المسيحية قبل أن اعتلى العرش. فالرواية تقول إنّ عدي، في ظلّ حكم المنذر الرابع، تزوّج إحدى بنات النعمان التي رآها يوم خميس الأسرار

(٤٨) راجع: الأصفهاني، الأغاني، ج ٢، ص ١٨ و ٢٦ و ٣١. راجع التفاصيل في: Rothstein, *Lahmidien* (1899), p. 169-11 - «أهذا كلُّ شيء؟» أجاب الأستاذ،

«ها، خذ ثمانين ألف». الأغاني، ج ٢، ص ١١٥.

(٤٩) Evagrius, *Hist. Eccl.*, VI, 22, in: P.G., t. LXXXVI, col. 2397; cf. Aigrain, *Arabie* (1922), col. 1229.

(٥٠) يقول مدوّن تاريخ سمعت الأخباري النسطوريّ إنّ ذلك حصل في السنة الرابع من حكم خسرو، ثمّ يروي كيف أنّ شيطانًا استولى على النعمان، وعينًا حاول الكهنة الوثنيون طرده، فطلب النعمان مساعدة جابر، أسقف أنحية، وصبريشوع، أسقف

لاشوم، فطردا الشيطان باسم يسوع المسيح. راجع:

Scher, *Histoire nestorienne*, t. XIII, p. 468-469 et 478-481.

ويرى المؤرخ عمر بن متى أيضًا أنّ الفضل في اعتناء النعمان يعود إلى الأسقفين المذكورين. وهنا هو الأسقف صبريشوع الذي أصبح جانيقًا في وقت لاحق.

(٥١) من المؤكّد أنّ النعمان أقام مسلّتين علامة تكفير عن إقدامه على قتل صديقين له في لحظة نال الكرمته. ولما كانت هاتان المسلّتان موضوع روايات خرافية كثيرة، فمن

المحتمل أن تكونا دليلًا على الذبائح البشرية التي قتمها. راجع:

Rothstien, *Lahmidien* (1899), p. 140-141; Aigrain, *Arabie* (1922), col. 1229.

تتقدّم لتناول القربان المقدّس في الكنيسة. لذا، إن صحّت الرواية، يمكن اعتبار العائلة كلّها مسيحية منذ ذلك الحين^(٥٢).

إضافة إلى ذلك، تختلف الروايات في شأن مذهبه، فكلّ من المونوفيزيين والنساطرة يدّعي انتماء النعمان إلى مذهبه. فقد عدّه ابن العبري يعقوبياً، وقال إنّ إيشوعيا^(٥٣)، الجاثليق النسطوريّ، بذل قصارى جهده ليشتمله إلى مذهبه^(٥٤). ولكن من الصعب أن نسلم بصحة هذه الرواية، لأنّ النعمان ما كان ليقدم على اعتناق مذهب يرى فيه حلفاؤه الفرس خطراً يزنظياً، وإن كان هنالك، في ظلّ حكمه، مونوفيزيون في الحيرة.

ب - أسقفية سمعان

إنّ جهلنا تاريخ اعتداء النعمان لا يجيز لنا بأن نحدّد تاريخ أسقفية سمعان في الحيرة، ولا أن نعرف شيئاً عن علاقته بالأسقف جابر بن سمعان الذي أقرض النعمان المال. بيد أنّ اسم سمعان يرد في سيرة الشهيد جورجس، الذي اعتنق المسيحية ورسمه سمعان الحيرة كاهناً في أبرشيته، واستشهد في سلوقية عام ٦١٥ بناءً على أمر خسرو أبرويز.

وفي الواقع: يصعب تثبيت لائحة بأسماء أساقفة الحيرة النساطرة منذ إفرائيم^(٥٥).

(٥٢) الأصفهاني، الأغاني، ج ٢، ص ١٢٨-١٣٠.

(٥٣) توفّي هذا الجاثليق في الحيرة (٥٨١-٥٩٥)، بعد أن لجأ إليها هرباً من خسرو، ذلك بأنّه كان قد حاوى الثّزار. وقد ربّبت شقيقة النعمان، هند، دنّاً احتفالياً له في كنيّة دير شيدته هي وشقيقتها ماريّا. راجع:

Scher, *Histoire nestorienne*, t. XIII, p. 438.

وفي الواقع، دُفن ستة جثائف نساطرة في الحيرة. راجع: Trimmingham, *Christianity* (1990), p. 199, note 124.

(٥٤) راجع:

Bar-Hebraeus, *Chronicon Ecclesiasticum*, éd. et trad. Par Abbeloos et Lamy, t. III, col. 105.

(٥٥) ثمة أسقف على الحيرة تذكره هو يوسف، شارك في أعمال السينودس الذي عنده إيشوعيا في سلوقية. راجع: Chabot, *Syz. Or.*, p. 423.

ج - نشاط أحودمه في منطقة الحيرة

رسم يعقوب البردعي أحودمه، الذي تحوّل من النسطورية إلى المونوفيزية، مفراناً (ثائباً بطريكاً) في تكريت، وبدأ نشاطاً رسولياً في منطقة الحيرة. عُرف عنه سيرته المستقيمة وفصاحته المقنعة وتمكّنه من الفلسفة والنحو. وبحسب بعض المؤرّخين اليعاقبة، أفحم الجائليق النسطوري، ونال إعجاب خسرو أنوشروان نفسه^(٥٦). ولكنّه عندما أفلح في اجتذاب أحد أبناء خسرو، واسمه جرجس، إلى الإيمان المونوفيزي، أُلقي في السجن، وأُعدم عام ٥٧٥^(٥٧).

د - نهاية حكم النعمان

مهما يكن من أمر انتماء النعمان إلى النسطورية، فتصرّقاته كانت

=أما سيردُس عام ٥٩٦، الذي رأسه صبريشوع، فلم تُحفظ أسماء المشتركين فيه.

راجع:

Aigrain, *Arabie* (1922), col. 1230

(٥٦) Cf. Michel le Syrien, IX, 30; X, 16, trad. Chabot, t. II, p. 251, 339

(٥٧) راجع «Ahudemme», in: D.H.G.E., t. I, col. 1087» كُتب في شأنه: «كان من بلاد العرب وعزم على تبشير الشعوب العديدة التي كانت تعيش تحت الخيام بين النترات ودجلة، والتي كانت من البربر والقتلة. فحطّم الأوثان واجترح المعجزات. بعضهم في مضارب الخيام لم يتركوه يقترب منهم، ورموا عليه الحجارة. ولكنّه شفى ابنة زعيم مخيم، فذاع خبر المعجزة وسهّل ذلك عليه رسالته. فحرص بصبر كبير على أن يمرّ بجميع مضارب خيام العرب، وكان يعلمهم ويثقفهم بخطب عديدة. كما أنّه لم يوقف صومه الكامل ولا صلواته وأسماؤه. جمع بحمته كهنة، واستقطب آخرين من بلاد كثيرة، وهدف إلى إقامة كاهن وشماس في كلّ قبيلة. وأسس الكنائس في القبائل وأعطاهما أسماء رؤساء قبائلها... ثمّ تبتّ قلوب العرب في ممارسات التقوى الكاملة، ويوجه خاصّ في الإحسان إلى المعوزين... فطالت حسانتهم جميع الناس، ولا سيّما الأديار المقدّسة التي لا تزال إلى الآن تحظى بلدعهم في حاجاتها الزمّية: دير مار متّي المقدّس والإلهي، ودير كوكتا، ودير بيت سرجيس، وجماعة الرهبان التي تقيم في جبل سنجار، وجميع الأديار المثبّسة الأخرى التي تقع في بلاد الرومان والفرس... وأحبّوا الصوم والحياة الزهديّة أكثر من جميع المسيحيّين... وعندما بلغوا الكمال في جميع التقاليد المسيحيّة، تركهم (أحودمه) وذهب ليشتدّ البيت الجميل «يسيلوتّا»، في وسط بيت غرياي، في وقع اسمه عين زينايه...» راجع:

Patr. Or., t. III, p. 19-32

أبعد ما تكون عن أبسط متطلبات الإيمان المسيحيّ. فقد اتخذ أكثر من زوجة، وتزوج زوجة أبيه، أرملة المنذر الرابع، «متجرّدة». إضافة إلى ذلك، أظهر نكران جميل رهيب تجاه عدي بن زيد، فحسده وأعدمه، ولم يستطع خسرو أبرويز إنقاذه^(٥٨).

ثمّ بدأت المشاعر العداوة تنمو بين خسرو والنعمان منذ مصرع عدي، أجبّتها حادثتان لاحتقان: فقد رفض النعمان أن يعير حصانه الملك الساسانيّ في إحدى المعارك، كما رفض أن يزوّج ابنته من ابن الملك، قائلاً إنّه لن يعطي ابنته إلى رجل من دون دين على مثال الحيوانات. ولكن نجح خسرو في اجتذابه إلى بلاطه، فأودعه السجن. وتوفيّ فيه مسموماً حوالي ٦٠٢. نُقل جثمان النعمان لاحقاً إلى الحيرة، ودفن في دير هند.

هـ - الحيرة في ظلّ السيطرة النارسيّة المباشرة

أبعد خسرو السلالة اللخميّة عن الحكم، وعيّن مسيحيّاً من قبيلة طيء، هو إيّاس بن قيس، أميراً على الحيرة، في ظلّ سيطرة فارسيّة مباشرة^(٥٩). وإبان حكم إيّاس، أنزل عرب قبيلة بكر بن وائل هزيمة بالفرس وأتباعهم من قبيلة الطيء في موقعة «ذو قار» الشهيرة حوالي ٦٠٥، فخلّفوا بذلك وضعاً جديداً، حينما برهنوا عن قدرتهم بالحق الهزائم بجيوش منمّمة ذات خبرات طويلة في فنون القتال. وفي ٦١١، عينّ الفرس الفارسيّ أزدبده حاكماً على الحيرة بدلاً من إيّاس، وبقي في وظيفته حتى الفتح الإسلاميّ.

بعد هجرة محمّد، استمرّت سلسلة الأساقفة النساطرة على الحيرة. فكان هنالك يوحنا في القرن الثامن، ويوثيل في العام ٧٩٠، ويوسف

(٥٨) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ١٩٣-٢٠١. يأتي تدخّل خسرو لإنقاذ عدي لأنّ عائلة هذا ساعدت إيّان مره عام ٥٩٠.
(٥٩) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٢١٣.

ويوحنا بن نزوك في القرن العاشر، وهذا أصبح جاثليقًا عام ١٠١٢^(٦٠).

استلمت الحيرة لخالد بن الوليد، في العام ١٢هـ، من دون إراقة دماء، بناءً على اتفاق نصّ على الحفاظ على جميع كنائس الحيرة^(٦١).

٩. تأثير مسيحيّ الحيرة النساطرة على محيطهم

لقد كان لمسيحيّ الحيرة النساطرة تأثير في انتشار إيمانهم في شبه الجزيرة وبين القبائل العربيّة المحيطة بمدّيتهم، وذلك من طريق التبشير والاتّصال الثقافيّ^(٦٢).

ولا شكّ أنّه كان للرهبان والنّسّاك، ولا سيّما ما أظهره بعضهم من قدرات فائقة الطبيعة، التأثير الأكبر في القبائل الرّحل التي اعتنقت المسيحيّة. كما اضطلع بعض مسيحيّ الحيرة بأدوار مهمّة في الرعايا المسيحيّة المجاورة، وتأثيرهم دام بعد القرن السادس.

ففي القرن السابع، عيّن الجاثليق النسطوريّ إيشوعياب الثاني (٦٢٨-٢٤٦) المدعوّ برصومّه، وهو مسيحيّ من مدرسة الحيرة، أسقفًا على نصيبين^(٦٣). وفي القرن السابع أيضًا، طلب الجاثليق النسطوريّ

Chabot, *Syn. Or.*, p. 673 (٦٠)

(٦١) في شأن استلام الحيرة، راجع: طبري، تاريخ، ج ٣، ص ٣٤٣-٣٤٥ و٣٦٠-٣٦١.

(٦٢) أنس ساويرس، الكاتب النسطوريّ، مارسة لامرّيّة في الحيرة في القرن السادس. ومن ناحية أخرى، يُروى أنّ الشاعر ميمون بن قيس، الملقّب بـ«الأعشى»، الذي انطلق من يمامة وجمال في العربيّة، أخذ من عباد الحيرة، كما من أسقف نجران، الإيمان التوحيدّي والإيمان باليوم الآخر، وإن لم يصبح مسيحيًّا (يذكر الأصفهاني بوضوح أنّه أخذ أنكاره الدنيّة عن العباد، مسيحيّ الحيرة: الأغاني، ج ٧، ص ٧٩). كما أنّ بعضهم، أمثال النابغة الزبيانيّ، مرّوا بتلك المدينة قاصدين القساسة، والتفروا مسيحيّتها. إضافة إلى أنّه كان في الحيرة مدرسة شعراء مسيحيّين، من أبرز وجوهها عدديّ بن زيد، وأبو دُعاد الإياديّ، وأوس بن حجر، وجريور بن عبد المسيح.

(٦٣) لقد انتقد هذا الأسقف الجاثليق بعنف، واتّهمه بأنّه اتّفق في القسطنطينيّة مع الخلقديوثين. ولكنّ الجاثليق تقبّل الاتّهامات بصبر وتواضع، ثمّ ساد السلام

جورجس (٦٦١-٦٨١) إلى أحد تلامذة مدرسة الحيرة أن يتدخل ليصالحه مع أسقف نصيبين^(٦٤).

ويذكر إيشوعذئخ، أسقف البصرة حوالي نهاية القرن الثامن، اثنين من سكان الحيرة أمتسا ديرين في الشمال، هما دير مار إلياس في جبال الموصل، ودير مار يوحنا عرب المعري، في جبل إزالة^(٦٥).

الخاتمة

دامت النسطورية في الحيرة والمناطق المحيطة بها في ظل الحكم الإسلامي، كما دامت المؤسسات الديرية، الرجالية منها والنسائية. فابن العبري يتكلم على دفاع الأسقف يوحنا المذكور أعلاه، الذي عاش في زمن الخليفة عبد الملك (توفي ٧٠٥)، عن مكرسات أراد الخليفة أن يضمّن إلى حريمه^(٦٦). فالحيرة، منذ زمن هند، كانت معروفة بالأديرة النسائية^(٦٧). وباختصار، كانت الكنيسة النسطورية جيدة التنظيم، تمتاز بحمية رسولية، وتتمتع بعلاقة خاصة مع اللخمين، الأمر الذي سهّل نشر عقائدها بين القبائل. ولكنها لم تستطع أن تؤثر كبيراً في قبائل الصحراء السورية حيث كان للمونوفيزية انتشار واسع^(٦٨).

بين الرجلين. راجع:

Patr. O., t. XIII, p. 560-579.

(٦٤) كان أسقف نصيبين المذكور يحمل اسم جورجس أيضاً، وهو من أتهم لدى الأمير العربيّ بأنّه لا يسافر إلا ليجمع الذهب. فطلب الأمير إليه أن يعطيه ذهباً وسجنه وعذبه عندما أجابه أنّه لا يملك شيئاً. فكان ردّ فعل الأمير أنّه دمر عدداً من الكنائس في منطقة عقرة والحيرة. أما جورجس، فقد عرف عنه حسن سيرته واحتمامه، ولم يعتبر مسؤولاً عن الخراب الذي لحق بكنائس الحيرة، لأنّه دُفن في تلك المدينة إلى جانب الجائليق مار آبا. راجع:

Nau, *Arabes chrétiens* (1933), p. 42-43.

Jésus-Denah, *Le livre de la chasteté*, éd. et trad. Chabot, Rome, 1896, p. 12, n° 19 (٦٥) and p. 25, n° 46.

Le Quein, *Oriens*, t. II, col. 1171 (٦٦)

(٦٧) هنالك من يذكر اسم ديرين داما طويلاً، راجع:

Nau, *Arabes chrétiens* (1933), p. 44.

Charles, *Christianisme des arabes* (1936), p. 61-64 (٦٨)

فالكنيسة النسطورية، على خلاف الكنيسة المونوفيزية، لم تفصل كهنة ومرسلين عهدت إليهم بتبشير القبائل وبالاحتفال بالأسرار فيها، بل ركزت على تأسيس الكنائس في المدن والمراكز الحضريّة. والسبب في ذلك أنّ توسعها لم يكن محصوراً بحدود الصحراء والحدود البيزنطية الفارسية، كما هو حال المونوفيزية.

أما المونوفيزيون، الذين وصلوا إلى بلاد ما بين النهرين بعد النساطرة، فلم يحظوا بدعم اللخمين السياسيّ، بل دعمهم الغساسنة المواليين لبيزنطية. وبالرغم من عدم ملاءمة الظروف، فقد تأسسوا في الحيرة، ووصلوا إلى بلاد فارس، وما لبثوا أنّ أتهموا بموالاتهم لبيزنطية، وبالتالي تعرّضوا للاضطهاد. وليكما يبعدوا الشبهة عنهم، عمدوا، أسوة بالنساطرة، إلى تأسيس كنيسة مستقلة عن أنطاكية في جميع الأراضي الخاضعة لحكم الفرس. وكانت كرسيّ الكنيسة في تكريت، حمل رئيسها، ابتداءً من عام ٦٢٩، لقب «مفريان».

وعلى غرار الكنيسة النسطورية، استمرت مؤسسات الكنيسة المونوفيزية طويلاً في ظلّ الحكم الإسلاميّ^(٦٩). ونعلم أنّ أسقف الحيرة اليعقوبيّ، جورجس، كتب مؤلّفات نفيسة عدّة باللغة السريانية في مطلع القرن الثامن.

إنّ استمرار المسيحية، المونوفيزية والنسطورية على السواء، مدّة تتعدى ٣٠٠ سنة بعد نشأة الإسلام، تجعلنا ندرك أنّ المسيحية كانت متأصلة في الحيرة والقبائل التي تدور في فلكها، على الرغم من الظروف الصعبة التي سيطرت على تلك المناطق بسبب النزاعات بين الفرس والبيزنطيين وأنصارهم من قبائل العرب، وهي نزاعات أثرت حتّى في أوضاع المسيحيين.

(٦٩) بعد الفتح الإسلاميّ، مرّت الكنيسة المونوفيزية بأزمة حادة بين البطريرك يوليائس ومفريان تكريت وبنحنا. فالبطريرك أراد بسط نفوذه على جميع مناطق انتشار المونوفيزيين بما أنّ سبب الانقسام قد زال، الأمر الذي أثار حفيظة المفريان. ولكنّ سينودسًا انعقد وناصر البطريرك.